

الحوار مع الآخر

المسيحيون. فالقرآن الكريم يعتمد عنصر البيان بحيث ينهل منه كل وارد وفق مستواه، لقد كان كتاباً عربياً مبيناً. وحتى عندما يكون المعنى سامياً يتطلب تشبيهاً موهماً؛ فإن مثل هذه المتشابهات أرجعت إلى آيات محكمات توضح المقصود دون أي لبس. أما عنصر الأسطورة المنافية للعقل فلا نجده مطلقاً في كتاب الله. نعم قد نجد الحديث عن خوارق العادة كتكلم طفل أو طول عمر إنسان أو أحياء ميت وهذا يفسر بوضوح بقدرة الله تعالى الخارقة والتي لا تنافي مع المسلمات العقلية بل يؤكد العقل المؤمن بالقدرة الإلهية المطلقة المؤمنة. بل نجد القرآن ينفي الأساطير التي كانت شائعة كمسألة نفي البحيرة والسائبة والأساطير التي نسجت حول الأصنام ويعتبرها من الأمور التي ما أنزل بها من سلطان. ويأتي وصف الأنبياء كاروع ما يكون إذ يعتبرهم يمثلون أسوة الإنسانية ويعطيهم صفة الشهادة على مسيرة الخلافة الإنسانية. وأما الحقائق العلمية فلم يواجه المفسرون أي تناقض بينها وبين النصوص القرآنية بل رحنا نكتشف يوماً بعد يوم الانسجام بين العلم والقرآن. بقي لنا أن نشير إلى أمور: الأول: ماذا يعني التأويل في النصوص القرآنية؟ الثاني: ما علاقة الهرمنوطيقا بأصول الفقه؟ الثالث: ما هي علاقة مصطلح القراءات بمصطلح الاجتهاد؟ أما بالنسبة للتأويل، فنحن نرى أن فاروقاً جوهرياً يميزه عن الهرمنوطيقا ويتلخص في أن الهرمنوطيقا إنما نشأت لتسد نقصاً ولتبرر غموضاً ولتحل تناقضاً في النصوص الدينية المسيحية بينما كان التأويل مصطلحاً دينياً بنفسه جاءت به النصوص لتعبر عن حقائق مهمة؛ فالتأويل في القرآن كما يبدو لمن تتبع استعماله يعني إحد المعاني التالية: 1. تفسير لنوع من الغموض الذي قد يطرأ على الفاظ يسوقها النص لبيان معاني سامية لا يستطيع اللفظ أن يعبر عنها بدقة فتبقى جوانب غامضة فيه تجعله من «المتشابه» فيأتي النص «المحكم» ليرفع هذا النقص عبر تأويل وإرجاع المتشابه للمحكم يقول تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا